

إعادة التفكير في الشراكات العسكرية الأجنبية: خيارات سياسية لتعزيز السلام والديمقراطية في السودان

المؤلف\ة: مصعب عثمان القاسم

التاريخ: 2025/07/12

الانتساب: نُشر كجزء من زمالة الديمقراطية في السودان لعام 2025

إخلاء المسؤولية: الآراء الواردة في هذا المنشور هي آراء المؤلف (المؤلفين\ات) ولا تعكس بالضرورة السياسة أو الموقف الرسمي لـ AMEL

عن زمالة AMEL: زمالة الديمقراطية في السودان هي برنامج عبر الإنترنت مخصص لتمكين الأصوات الناشئة للتأثير على المناقشات العالمية حول الديمقراطية والسلام والتنمية في السودان. من خلال سلسلة من ورش العمل التفاعلية والتدريبات ومشاريع البحث القائمة على الأدلة، يكتسب الزملاء\الزميلات مهارات حاسمة في التحليل وصياغة السياسات والمناصرة.

قراءات إضافية: لمزيد من الأفكار والمنشورات من زملاء\زميلات AMEL، تفضل\ي بزيارة موقعنا على الإنترنت: <https://democracyactionsd.org/publications/>

معلومات الاتصال: إذا كانت لديك أي أسئلة أو ترغب\ين في الحصول على مزيد من المعلومات حول AMEL وعملنا، فيُرجى التواصل معنا:

● البريد الإلكتروني: sudandemocracy@amelproject.org

● فيسبوك: <https://www.facebook.com/democracyactionproject>

عن الكاتب: مصعب عثمان باحث ورائد أعمال ذو خبرة، يركز على المشاركة المجتمعية، وتطوير السياسات، والعمل اللاعنفي في المناطق المتأثرة بالحروب. يمتلك سجلاً حافلاً في قيادة المشاريع البحثية وتيسير الحوار لدفع التغيير السياسي والاجتماعي في السودان. شغوف بتمكين المجتمعات المهمشة، والدفاع عن حقوق الإنسان، وتعزيز التنمية المستدامة.

ملخص تنفيذي

تقدم الورقة تحليلاً معمقاً للتأثيرات المحتملة لإقامة قاعدة بحرية روسية في بورتسودان علي آفاق السلام والتحول الديمقراطي في السودان. ففي خضم صراع داخلي ذو أبعاد خارجية وتطلعات ديمقراطية متعثرة، يمثل الوجود الروسي خطوة جيوسياسية كبيرة ذات تداعيات بعيدة المدى. يظهر التحليل ان روسيا تستغل حالة عدم الاستقرار في السودان لتوسيع نفوذها، حيث تقدم الدعم العسكري الذي يساهم في إطالة أمد الحرب ويقوض جهود بناء الدولة. من خلال المقاربة والمقارنة مع التدخلات الروسية في سوريا وليبيا، يتضح نمط متكرر يتمثل في دعم الانظمة الاستبدادية، واستغلال الموارد، وتعميق الصراعات، وعرقلة الحوكمة. بالرغم من عدم توقيع اتفاق نهائي بخصوص القاعدة الي حين كتابة الورقة، إلا أن هذه التجارب تثير مخاوف جدية بشأن مستقبل السودان. توصي الورقة الحكومة السودانية بتبني الحياد الإيجابي في العلاقات الدولية، وتعليق تنفيذ اتفاق القاعدة الروسية لحين إعادة تقييمه من قبل لجنة وطنية متخصصة، مع توجيه الجهود نحو إنهاء الحرب وتحقيق المصالحة، وفتح الباب أمام الاستثمارات والفرص التنموية بدلاً عن التنازلات العسكرية. كما توصي القوى السياسية والمجتمع المدني بتنظيم حملات توعية ومناصرة سلمية لرفض التدخلات الأجنبية، وتفعيل التواصل الدولي، إلى جانب دعم البحث العلمي والإعلام المستقل لإبراز مخاطر القواعد الأجنبية.

مقدمة:

منذ اندلاع الحرب في ابريل 2023 يواجه السودان إشكالية متصاعدة تتعلق بتزايد الوجود الأجنبي، وخصوصًا العسكري، على أراضيه، وبشكل خاص في سواحله الاستراتيجية على البحر الأحمر. في ظل الحرب الأهلية المستمرة وانهيار مؤسسات الدولة المركزية، بدأت الأطراف العسكرية الفاعلة بعيدًا عن أي غطاء دستوري أو رقابي في إبرام ترتيبات مع قوى أجنبية، كان أبرزها الاتفاق المبدئي بين الحكومة السودانية وروسيا بشأن إنشاء قاعدة عسكرية في بورتسودان. تُقدّم هذه الاتفاقات غالبًا تحت مظلة "تعزيز الأمن القومي" و"حماية الموانئ" و"ضمان التوازن الإقليمي"، وهي روايات تندرج ضمن إطار "الأمننة"، أي تحويل قضايا مدنية وتنموية مثل إدارة الساحل إلى قضايا أمنية تُعالج بإجراءات استثنائية، بعيدًا عن المساءلة الشعبية والمدنية.

تكمّن خطورة هذه السياسات في أنها تُعيد إنتاج بنية الاستبداد، عبر تعزيز سلطة المؤسسة العسكرية على حساب المجتمع المدني، وتهديد فرص بناء سلام شامل وتحول ديمقراطي حقيقي. كما تسهم في إدخال السودان ضمن صراعات المحاور الدولية، وتحوله إلى ساحة تنافس جيوسياسي على حساب سيادته الوطنية. ورغم أهمية السواحل السودانية كمورد استراتيجي للتنمية والتكامل الإقليمي، فإن السودان يفتقر إلى سياسة وطنية متماسكة لإدارة هذا المورد الحيوي. كما تغيب الأطر القانونية والمؤسسية المنظمة للوجود الأجنبي، ويُقصى المجتمع المدني تمامًا عن هذه الملفات، مما يخلق فجوات عميقة في الحوكمة، ويُفاقم من هشاشة الدولة وتهديد استقرارها السياسي في المدى القريب والبعيد.

تنبع أهمية هذا الورقة من كونها تتناول إحدى القضايا السيادية الحساسة في السودان، والتي ندرة الدراسات التي ربطت بين مفهوم الأمننة، والوجود العسكري الأجنبي، وتأثيرهما على التحول الديمقراطي والسيادة الوطنية بشكل متكامل. كما تندر الدراسات التي عالجت حالة القواعد العسكرية الأجنبية (مثل القاعدة الروسية) من منظور نقدي في ظل النزاع الحالي، وهذه المعالجات غالبًا ما اتسمت بالتوصيف السياسي دون تحليل متكامل يربط بين خطاب الأمن، والوجود العسكري الأجنبي، وأثرهما على السلام والانتقال الديمقراطي.

ما يُميز هذا البحث هو اعتماده على تحليل نقدي للخطاب الأمني وربطه بالبنية السياسية، مع استناد مباشر إلى رؤى محلية متعمقة تم جمعها عبر مقابلات مع خبراء سودانيين في الدراسات الأمنية والعلوم السياسية، إضافة إلى مسؤولين سابقين في الحكومة الانتقالية، وقياديين في تحالف صمود. وقد أسهمت هذه الرؤى في إثراء التحليل، وإضفاء طابع واقعي على مقترحات السياسات البديلة التي تُعزز مصلحة السودان العليا، وتتجاوز الخطاب العسكري التقليدي، عبر إعادة الاعتبار للحكم المدني، والمساءلة، والشفافية.

1. تطور العلاقات السودانية-الروسية: من البراغماتية إلى التحالف الاستراتيجي:

لم تكن العلاقة بين الخرطوم وموسكو وليدة الحرب الحالية، بل هي نتاج مسار طويل من التقارب والتباعد المبني على المصالح المتبادلة كان السودان ضمن نطاق اهتمام روسيا منذ ما قبل حل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية (الاتحاد السوفيتي) حيث كانت لديهم علاقات قوية بدأت في عام 1960، ثم تطورت بزيارة الفريق إبراهيم عبود، رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة ورئيس وزراء السودان، للاتحاد السوفيتي. ومنذ ذلك الحين، بدأت العلاقات في التطور حتى عام 1970 عندما قام النميري، الرئيس السوداني الأسبق، بتخفيض العلاقات الدبلوماسية مع موسكو وطرده المستشارين العسكريين السوفيت من الخرطوم. لاحقاً عادت العلاقات مرة أخرى بعد ثورة 1985، عندما زار الصادق المهدي، آخر رئيس وزراء منتخب في السودان، الاتحاد السوفيتي عام 1986. ومع ذلك، وبسبب العقوبات الأمريكية على السودان، بدأ تعزيز العلاقات بين البلدين، بما في ذلك الاستثمار والدبلوماسية والتعاون العسكري.¹

خلال عهد نظام البشير، كانت العلاقة تمثل "تحالف الضرورة": فالنظام السوداني الذي كان منبوذاً غربياً ويخضع لعقوبات دولية، وجد في روسيا مصدراً رئيسياً للتسلح وخليفاً دبلوماسياً يوفر له الحماية في مجلس الأمن الدولي. في المقابل، رأت روسيا في نظام البشير شريكاً مناوئاً للغرب وبوابة محتملة لولوج إفريقيا وتوسيع نفوذها نحو البحر الأحمر، من ناحية أخرى كانت تهدف إلى الاستفادة من احتياطات الذهب الضخمة في السودان.

في عامي 2018 و2019، خرج المواطنون السودانيون إلى الشوارع مطالبين بإصلاحات ديمقراطية إسقاط النظام. وهبت روسيا للدفاع عن الرئيس السابق البشير، من خلال مجموعة فاغنر، وهي شركة عسكرية روسية خاصة مرتبطة بالكرملين، وعملت مع قوات الأمن السودانية لقمع المتظاهرين. كما خطط خبراء روس لحملة تضليل إعلامي لتشهها حكومة البشير، وهي حملة لو نُفذت لكانت ستستخدم كسلاح ضد المتظاهرين، إذ تُصوّرهم على أنهم مؤيدون لإسرائيل، ومؤيدون لمجتمع الميم، ومعادون للإسلام، ومرتبطين بجهات أجنبية.²

منذ أن أطاح الجيش السوداني بالبشير في أبريل/نيسان 2019، اضطرت روسيا إلى مواجهة حقائق سياسية جديدة، وقد سعت موسكو جاهدةً للحفاظ على علاقات ثنائية جيدة مع الخرطوم، بغض النظر عن المؤسسات والشخصيات الحاكمة. وفي المستقبل، قد تواجه روسيا معارضة مستمرة من قبل بعض الأطراف المدنية في حكومة الخرطوم، ممن ساندوا الثورة واعتبروا دعم موسكو للبشير عملاً مضاداً للثورة.³

¹ The interests of Russia in Sudan, Sudan Democracy Lifeline Fellowship, 31/5/2024, available at: <https://democracyactionsd.org/the-interests-of-russia-in-sudan/>

² Giorgio Cafiero, Sudan: A key area in US-Russia competition, June 1, 2021, available at: <https://www.mei.edu/publications/sudan-key-area-us-russia-competition>

³ المرجع نفسه

أما خلال الفترة الانتقالية (2019-2021)، فقد اتّسمت العلاقات السودانية الروسية بازديادها وضحة. ففي الوقت الذي سعى فيه المكوّن المدني في الحكومة، بقيادة رئيس الوزراء عبد الله حمدوك، إلى إعادة دمج السودان في المجتمع الدولي والانفتاح على الغرب من خلال خطوات متعدّدة، رفضت الحكومة المدنية توقيع أي اتفاقيات طويلة الأمد إلى حين اكتمال المرحلة الانتقالية⁴. في المقابل، حافظ المكوّن العسكري على علاقاته الدافئة مع موسكو، مستخدمًا إياها كورقة توازن وضمانة في مواجهة الضغوط الغربية الداعية إلى تسليم السلطة بشكل كامل للمدنيين. وخلال هذه الفترة، أُعيد إحياء اتفاق القاعدة البحرية الذي طُرِح لأول مرة في عهد البشير، دون أن يتم إلغاؤه، بل ظلّ ملفًا مؤجلًا بانتظار اللحظة السياسية المناسبة. وقد جاءت هذه اللحظة مع انقلاب 25 أكتوبر 2021 وتعمقت مع اندلاع حرب أبريل 2023. فمع تزايد عزلة قيادة الجيش وحاجتها الماسة للبقاء العسكري والسياسي، وجدت روسيا فرصتها الذهبية لإعادة طرح مشروع القاعدة على الطاولة. لقد تحولت العلاقة من شراكة براغماتية إلى تحالف استراتيجي مصري بالنسبة للطرف العسكري السوداني، الذي بات يرى في موسكو ضامنًا لبقائه في مواجهة تحديات وجودية داخلية وخارجية. رغم ذلك تعكس العلاقات السودانية - الروسية نموذجاً معقداً، فالقيادة العسكرية السودانية، وإن كانت تعتمد على موسكو لتوفير الدعم السياسي والعسكري في ظل العزلة الدولية، لكنها في نفس الوقت لا تسعى إلى القطيعة الكاملة مع الغرب. بل على العكس، تحاول استخدام علاقاتها مع روسيا كورقة ضغط تفاوضية لإجبار القوى الغربية، خصوصًا الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، على الانخراط معها في حوار مباشر، أو على الأقل، كبح جماح الضغوط الرامية إلى تسليم السلطة للمدنيين. في هذا السياق، يشكل ملف القاعدة البحرية الروسية في بورتسودان نموذجًا واضحًا لهذا الاستخدام التكتيكي؛ حيث يُلوّح به كأداة مساومة في حسابات السياسة الخارجية، لا كمجرد التزام استراتيجي طويل الأمد. يعكس هذا النهج رغبة الجيش في تنويع خياراته الخارجية، وتحقيق نوع من التوازن بين المحاور الدولية، بما يضمن له هامش مناورة أوسع، واستمرارية في الحكم دون تقديم تنازلات جوهرية.

2. تقييم اتفاقية القاعدة الروسية في البحر الأحمر:

وقّعت روسيا اتفاقية استراتيجية مع السودان تمتد لـ 25 عامًا، تنص على إنشاء قاعدة بحرية في مدينة بورتسودان على ساحل البحر الأحمر. وتسمح الاتفاقية لروسيا باستضافة أربع سفن حربية، من بينها سفن تعمل بالطاقة النووية، بالإضافة إلى وجود 300 عنصر عسكري. في المقابل، يحصل السودان على أسلحة ومعدات عسكرية دون مقابل مالي، وتُمنح روسيا حق استخدام المجال الجوي السوداني وإنشاء مواقع عسكرية مؤقتة داخل البلاد. كما يمكن تمديد الاتفاق لفترات لاحقة بموافقة الطرفين.

⁴ مقابلة مع د. بكري الجاك المدني، الناطق الرسمي باسم تحالف صمود، بتاريخ 8 يوليو 2025.

تأتي هذه الخطوة ضمن توجه روسي متجدد نحو القارة الإفريقية بدأ منذ أوائل القرن الحادي والعشرين. فقد شهدت العلاقات الروسية-الإفريقية نموًا ملحوظًا، إذ ارتفع حجم التجارة والاستثمارات بنسبة 180% بين عامي 2005 و2015، إلى جانب توسع موسكو في توقيع صفقات تسليح واتفاقيات في مجالات الطاقة والموارد الطبيعية مع عدد من الدول الإفريقية⁵.

لكن إنشاء قاعدة بحرية في بورتسودان يكشف عن طموح روسي يتجاوز التعاون الاقتصادي، نحو هدف أكبر يتمثل في استعادة نفوذها البحري العالمي. ويعكس هذا التوجه سعي موسكو إلى تعزيز حضورها الجيوسراتيجي خارج حدود القارة الإفريقية، وتحديدًا في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، عبر البوابة الحيوية للبحر الأحمر.

وقد أكد عدد من كبار القادة العسكريين الروس، مثل الأدميرال المتقاعد فيكتور كرافتشينكو، أن إنشاء هذه القاعدة يندرج ضمن "استعادة الوجود البحري الروسي" وتعزيز قدرات الأسطول الروسي في منطقة ذات أهمية استراتيجية عالية. ووصفوا البحر الأحمر بأنه "منطقة متوترة" تتطلب وجودًا عسكريًا دائمًا، لا سيما في ظل التحديات الأمنية والمنافسة الدولية المتصاعدة⁶. كما أن روسيا لديها مصالح كبيرة في المنطقة حيث يبلغ حجم الصادرات الروسية النفطية نحو 24% من إجمالي حركة النفط المتجهة جنوباً إلى البحر الأحمر مروراً بقناة السويس ومضيق باب المندب، وتعد روسيا كذلك المورد الأهم للأسلحة لعدد من الدول الإفريقية إذ يتم بيع 13% من الأسلحة الروسية لدول القارة، وفق تقرير «معهد استوكهولم لأبحاث التسليح» لعام 2023⁷.

ومن المهم الإشارة إلى أن المساعي الروسية للتموضع في البحر الأحمر ليست جديدة؛ فقد بدأت منذ عام 2017 حين زار الرئيس السوداني السابق عمر البشير موسكو وناقش إمكانية إنشاء قاعدة بحرية روسية. ومع فشل محادثات روسيا مع جيبوتي، وتعثُر جهودها في إنشاء قاعدة قرب مضيق باب المندب بسبب الحرب في اليمن، برز السودان كشريك مناسب لتحقيق هذا الهدف. ولا يمكن فهم هذه التحركات الروسية بمعزل عن الأهمية الجيوسياسية الفائقة للبحر الأحمر ومنطقة القرن الأفريقي، الذي يضم قناة السويس ومضيق باب المندب، وهما من أهم نقاط العبور للتجارة العالمية. كما تزخر المنطقة بموارد طبيعية غنية مثل الذهب والغاز.

تظهر مكانة القرن الأفريقي من الاهتمام البالغ الذي توليه الدول الكبرى، والدول ذات الاقتصادات الصاعدة، للتطورات التي يمر بها الآن؛ فقد وضع الاتحاد الأوروبي في عام 2012 استراتيجية للمنطقة، سُميت "الإطار الاستراتيجي للقرن الأفريقي". وتشير الاستراتيجية إلى أن مصالح الاتحاد الأوروبي يحددها الموقع الاستراتيجي للقرن، وارتباطات الاتحاد التاريخية بدول القرن

⁵ . Why is Russia establishing a naval base in Sudan? TRT World, available at: <https://www.trtworld.com/magazine/why-is-russia-establishing-a-naval-base-in-sudan-42205>

⁶ لماذا تنشئ روسيا قاعدة بحرية يمكنها استقبال سفن تعمل بالطاقة النووية في السودان؟ موقع مونتي كارلو، نشر في 2021/02/28، متاح علي: <https://2u.pw/5wRPY>

⁷ ما دلالة نشاط السفن الحربية الروسية بالبحر الأحمر؟، صحيفة الشرق الأوسط، نشر في 2024/03/31، متاح علي: <https://2u.pw/0pOqy>

الأفريقي. وتتعرض الوثيقة للعلاقة القوية بين استقرار المنطقة والأمن العالمي، وما يترتب على ذلك من أهمية محاربة الظواهر المزعزعة للاستقرار، كالقرصنة والإرهاب، من جهة، وتقديم العون الإنساني، من جهة ثانية⁸. وأصدر البيت الأبيض، في كانون الأول/ ديسمبر 2017، استراتيجية الأمن القومي الأمريكي، خصص فيها قسمًا لأفريقيا، وبرزت فيها أهمية محاربة الإرهاب والقرصنة، ودعم استقرار دول القرن الأفريقي، والتعامل مع جذور عدم الاستقرار. وتحفظ الولايات المتحدة وفرنسا بوجود عسكري مستمر في جيبوتي، تمثله بالنسبة إلى الأولى القوة المشتركة المدمجة للقرن الأفريقي Task Force-Horn of Africa, CJTF-HOA Combined Joint والقاعدة الفرنسية بالنسبة إلى الثانية. أما الصين واليابان، فقد أقام كل منهما قاعدة عسكرية في جيبوتي، ولا تتوافر معلومات حول حجم القاعدتين وتجهيزاتها. كما أعربت السعودية لجيبوتي عن رغبتها في إقامة مرفق عسكري هناك. ويوجد إلى جانب هذه القواعد العسكرية مرافق أمنية أخرى، لوجستية وتجسسية، وهناك مرافق تدار منها طائرات من دون طيار، تُستخدم لاستهداف مقاتلي الجماعات الجهادية المتطرفة المنتشرة في منطقة القرن، موجودة في أريتريا وإثيوبيا وكينيا والصومال⁹، ما يؤكد تحوّل المنطقة إلى بؤرة صراع نفوذ بين القوى الصاعدة والتقليدية.

ورغم تقديم الاتفاق الروسي-السوداني باعتباره دفاعيًا ويهدف إلى حفظ الاستقرار، فإن السياق الجيوسياسي والمصالح الاقتصادية المتشابكة يشيران إلى أن هذه القاعدة تحمل أبعادًا تتجاوز الأهداف المعلنة. كما أن توقيع الاتفاق وسط وضع داخلي هش في السودان وغياب المؤسسات التشريعية يثير تساؤلات حول السيادة الوطنية وجدوى الانخراط في ترتيبات استراتيجية طويلة الأمد دون توافق داخلي واضح.

وفقًا لنص الاتفاقية فإن فترة سريانها الأساسية هي 25 عامًا، مع إمكانية تمديدتها لعقد آخر، بموافقة الطرفين. إلا أن هناك عدد من الإشكالات المتعلقة ببنودها، أولاً: يشار إلى أن القاعدة أو نقطة التزود الاستراتيجية لا تخضع للولاية القضائية السودانية. الأمر الآخر أن روسيا لن تدفع أي إيجار للسلطات السودانية وهذا غير معهود في الاتفاقيات المشابهة، على سبيل المثال تعتمد جيبوتي بشكل أساسي على تأجير القواعد العسكرية على أراضيها للقوى الأجنبية أي أنها تحقق مكاسب اقتصادية من هذه الشراكات. لكنها وافقت -على ما يبدو- على شحن بعض الإمدادات العسكرية والأسلحة إلى السودان مجانًا بموجب اتفاق إضافي منفصل. وتتحمل موسكو تكاليف أعمال البناء لإنشاء القاعدة، بما في ذلك أماكن المعيشة والمستودعات ومرافق الصيانة البحرية والأرصفة. علاوةً على ذلك، ستوفر روسيا دفاعات مضادة للطائرات لتغطية كل من قاعدتها والأصول البحرية السودانية القريبة في بورتسودان. ولا يذكر مشروع الاتفاق أي قاعدة جوية روسية في السودان بالإضافة إلى محطة الإمداد البحرية المعلنة، لكن يبدو أنه سوف يتم السماح للطائرات الروسية باستخدام المجال الجوي السوداني. وقد يُسمح لموسكو

⁸ حسن حاج علي وعديلة تبار، الأمنة والديمقراطية في القرن الأفريقي: حالات جيبوتي والصومال والسودان، مجلة سياسات عربية، العدد 39، يوليو 2019، ص 45.

⁹ المرجع نفسه، ص 45.

بالاستفادة من المطار الدولي جنوب بورتسودان. وبحسب مسودة الاتفاقية يمكن زيادة عدد العسكريين الروس في السودان مستقبلاً.

4. تداعيات الشراكات العسكرية الأجنبية على السلام والتحول الديمقراطي:

من الملاحظ ان روسيا تستغل بشكل استراتيجي "المناطق الرمادية" – وهي مناطق تعاني من ضعف الحوكمة، وتنافس مراكز القوى، وتجزئة السيادة، وغياب احتكار العنف – بالإضافة إلى استغلال المشاعر المناهضة للاستعمار، مستفيدة من الدعم السوفيتي التاريخي لحركات التحرير الإفريقية، لترسيخ نفوذها. في السودان، أقامت روسيا علاقات مع الفصائل المتحاربة، حيث تدعم رسمياً القوات المسلحة السودانية في المقابل تدعم وكيلها، مجموعة فاغنر (التي أصبحت الآن فيلق إفريقيا)، قوات الدعم السريع، وقدمت روسيا مستشارين لهذه الميليشيا وأقامت علاقات استثمارية قوية معها، خاصة في قطاع الذهب. يشار إلى أن قوات الدعم السريع تمتلك أسلحة روسية حصلت عليها سابقاً، فضلاً عن وجود حلفاء لهذه الميليشيا من الدول المجاورة، مما قد يعني تلقي الدعم الروسي بشكل غير مباشر.¹⁰ ومن المرجح ان الحكومة السودانية تدرك أن الميل الروسي نحوها ليس كاملاً، وأن روسيا قد تستخدم هذا التوجه كورقة ضغط لتحقيق مصالحها الخاصة.

لتقديم فهم اعمق عن الاستراتيجية الروسية يمكن مقارنة الحالة السودانية بالحالة السورية، حيث تدخلت روسيا عسكرياً في سوريا في 30 سبتمبر 2015، بناءً على طلب نظام بشار الأسد، بهدف دعم النظام ضد المعارضة وتنظيم الدولة الإسلامية. ورغم أن روسيا صورت تدخلها في البداية على أنه "حرب ضد الإرهاب"، إلا أن أهدافها الحقيقية كانت الحفاظ على حكومة الأسد المتحالفة وتقليص النفوذ الأمريكي. وقد أرسلت روسيا قوات عمليات خاصة ومستشارين عسكريين ومقاولين عسكريين خاصين مثل مجموعة فاغنر لدعم نظام الأسد الذي كان على وشك الانهيار.

كان للتدخل الروسي عواقب وخيمة على الوضع الإنساني، مما أدى إلى مذابح للمدنيين، ونزوح جماعي، وتدمير البنية التحتية الحيوية. وقد استخدمت روسيا أساليب "الأرض المحروقة" ضد المناطق المدنية ومعازل المعارضة، مما أسفر عن مقتل آلاف المدنيين وتحويل سوريا إلى ميدان تدريب في ظروف قتالية حقيقية لعشرات الآلاف من الجنود والضباط الروس، وتجريب مئات الأنواع من الأسلحة في "ميدان الرماية السوري"، والترويج المجاني للأسلحة الروسية¹¹. وقد سعت روسيا الى دعم النظام بكل

¹⁰ روسيا وأمريكا ولعبة النفوذ في السودان في ظل الصراع المسلح!، نشر بتاريخ 2024/11/1 متاح علي: <https://2u.pw/MkVVz>

¹¹ تسع سنوات على التدخل الروسي في سوريا... مكاسب وتحديات، سامر الياس، موقع المجلة، نشر في 2024/9/30 متاح علي:

<https://www.majalla.com/node/322433/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9/%D8%AA%D8%B3%D8%B9-%D8%B3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%AA-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AF%D8%AE%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7-%D9%85%D9%83%D8%A7%D8%B3%D8%A8-%D9%88%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA>

السبل العسكرية والدبلوماسية، حيث لجأت إلى استخدام حق الفيتو لتعطيل قرارات مجلس الأمن¹² بخصوص ادانة النظام لاستخدامه الاسلحة الكيميائية، وايضاً عملت علي تعطيل مسارات التفاوض في جينيف.

ورغم ذلك، لم تتمكن القوات الروسية من منع سقوط نظام الأسد في ديسمبر 2024، والان تواجه إشكالية في المحافظة علي قواعدها في قاعدة طرطوس البحرية وقاعدة حميميم الجوية مما يدفعها الي البحث عن بدائل اخري في السودان وليبيا.¹³ كما استخدمت روسيا القواعد العسكرية لتوطيد نفوذها في ليبيا وأفريقيا عموماً، حيث استفادت منها في نقل المرتزقة العاملين لصالح مجموعة فاغر إلى قاعدتي الجفرة وبنينا الليبيين، وأكدت مصادر أمنية تابعة لحكومة الوحدة الوطنية الليبية أن غالبية الدعم الروسي العسكري والبشري لقوات اللواء المتقاعد خليفة حفتر تم استقدامه من خلال قاعدة حميميم¹⁴.

يُظهر هذا النمط أن التدخل الروسي، حتى عندما يهدف إلى "استقرار السلطة الشرعية"، غالباً ما يؤدي إلى إطالة أمد الصراع، وتكثيف المعاناة الإنسانية، وتقويض أي فرصة لعملية سياسية شاملة. فمن خلال دعم طرف واحد بشكل حاسم، تصبح روسيا جزءاً لا يتجزأ من الصراع، مما يعيق الحلول الديمقراطية ويؤدي إلى تدهور الوضع العام.

يكشف التحليل أن التورط المتزايد لروسيا في السودان ليس مجرد استجابة سلبية للموقع الاستراتيجي للبلاد، بل هو أمر تسهله، ويزيد من حدة، عدم الاستقرار الداخلي في السودان. فالصراع المستمر يخلق فراغاً في السلطة وحاجة ماسة للمساعدات العسكرية، والتي تقدمها روسيا بسهولة، مما يمنحها نفوذاً كبيراً على كلا الفصيلين المتحاربين. وهذا يشير إلى ارتباط سبي مباشر: فالدعم العسكري الروسي، بدلاً من أن يكون قوة استقرار، يطيل أمد الصراع ويكشفه من خلال تمكين المتحاربين. ويجعل عدم الاستقرار المطول بدوره السودان أكثر اعتماداً على الشركاء الأمنيين الخارجيين مثل روسيا، مما يخلق دورة مستمرة من التبعية. يمنح هذا الاعتماد روسيا نفوذاً كبيراً يتجاوز مجرد التعاون العسكري، مما يمكنها من تأمين أصول استراتيجية مثل القاعدة البحرية وسط الفوضى. وحقيقة أن اتفاق القاعدة، الذي تم تعليقه في البداية بسبب عدم

Security council reports, available at: 12

https://www.securitycouncilreport.org/un_documents_type/security-council-resolutions/?ctype=Syria&cbtype=syria

¹³كاثرين شير، القواعد الروسية: هل تنتقل من سوريا إلى ليبيا؟، نشر بتاريخ 2024/12/20، متاح علي: <https://2u.pw/XePMo>

¹⁴ مستقبل غامض للقواعد الروسية في سوريا، موقع الجزيرة نت، نشر بتاريخ 2024 /12/19، متاح علي:

<https://www.aljazeera.net/politics/2024/12/19/%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84-%D8%BA%D8%A7%D9%85%D8%B6-%D9%84%D9%84%D9%82%D9%88%D8%A7%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7>

الاستقرار، تمت الموافقة عليه لاحقاً من قبل الحكومة العسكرية¹⁵، وذلك يشير إلى براعة روسيا في التنقل، بل واستغلال، التقلبات السياسية الداخلية لصالحها، حيث تعتبر عدم الاستقرار "نافذة فرص". وهذا يكشف عن حسابات استراتيجية حيث لا يمثل عدم الاستقرار رادعاً بل عامل تمكين للنفوذ الروسي.

5. مآلات القاعدة الروسية في ظل التطورات الداخلية والخارجية:

بالرغم من توقيع الاتفاق المبدئي بشأن القاعدة الا انه من المحتمل ان تواجه الحكومة السودانية تحديات كبيرة في اكمال الصفقة في ظل التعقيدات الداخلية والخارجية التي يشهدها السودان والمنطقة، يمثل البحر الأحمر شرياناً حيوياً للمملكة العربية السعودية، فهو ليس مجرد واجهة بحرية تمتد على طول سواحلها الغربية، بل هو ممر ملاحي استراتيجي يربطها بالعالم عبر قناة السويس، ويُشكل عصباً رئيسياً لتجارها النفطية وغير النفطية، فضلاً عن كونه بوابة لمشاريعها التنموية الطموحة مثل "نيوم". في هذا السياق، يُنظر إلى أي وجود عسكري أجنبي دائم، خاصةً من قوة كبرى مثل روسيا في بورتسودان، على أنه تهديد مباشر للأمن القومي السعودي، لأنه قد يُخل بالتوازن الإقليمي، ويُعرض حرية الملاحة للخطر، ويُمكن أن يُستخدم لفرض نفوذ يتعارض مع المصالح السعودية الحيوية.¹⁶ هذا التهديد المتزايد يُفسر سعي الولايات المتحدة لتعزيز وجودها العسكري في المنطقة من خلال إقامة وتوسيع قواعد لوجستية جديدة في غرب السعودية، مثل منطقة الدعم اللوجستي جنكز ومطاري الطائف وجدة¹⁷، بهدف تأمين الممرات الملاحية، ومواجهة التهديدات المتصاعدة من جماعات مثل الحوثيين، وربما لردع أي محاولات لتوسع النفوذ الروسي والایراني الذي قد يُهدد الاستقرار الإقليمي ومصالح حلفائها، من ناحية أخرى فان الولايات المتحدة قلقة بشكل اكبر من توسع النفوذ الصيني في المنطقة، يعكس ذلك سياسة امريکاً أولاً التي ينتهجها الرئيس الأمريكي دونالد ترمب¹⁸.

من ناحية اخرى يُعد السودان من أوائل الدول التي شاركت في تأسيس حركة عدم الانحياز عام 1955 بعد مؤتمر باندونغ، وقد تبنت الدولة منذ استقلالها نهجاً سياسياً يرفض الاصطفاف مع أي من المحاور الدولية الكبرى، خاصة خلال الحرب الباردة. ونتيجة لهذا التوجه، اتبعت الحكومات السودانية المتعاقبة سياسات حذرة تجاه الوجود العسكري الأجنبي، وحرصت على رفض إقامة قواعد عسكرية لدول أجنبية على أراضيها، باعتبار ذلك مساساً بالسيادة الوطنية وتدخلًا في الشؤون الداخلية¹⁹.

15 السودان يعلن إكمال الاتفاق على انشاء القاعدة الروسية في البحر الأحمر وزيراً خارجية السودان وروسيا اتفقا على اقامة القاعدة الروسية على ساحل البحر الأحمر، سودان تريبون، نشر بتاريخ 2025/2/12، متاح علي: <https://sudantribune.net/article297272/>

16 مقابلة مع بروفيسور حسن الحاج علي، استاذ العلوم السياسية بجامعة الخرطوم، بتاريخ 7 يوليو 2025.
17 A U.S. Base in Saudi Arabia Expands to Help Counter Iran, The New York Times, <https://www.nytimes.com/2025/06/26/world/middleeast/jenkins-us-saudi-arabia-iran.html>

18 مقابلة مع بروفيسور حسن الحاج علي، استاذ العلوم السياسية بجامعة الخرطوم، بتاريخ 7 يوليو 2025.
19 المرجع السابق نفسه.

وفي السياق الراهن، وبعد مرور أكثر من عامين على اندلاع الحرب، شهدت موازين القوى على الأرض تحولاً ملحوظاً. فقد تمكن الجيش السوداني من تحقيق تقدم استراتيجي باستعادته السيطرة على العاصمة الخرطوم ومعظم ولايات وسط السودان، وهو ما أدى إلى انحسار المعارك نحو إقليمي كردفان ودارفور. هذا التحول في المعادلة الميدانية يعزز موقف الجيش التفاوضي ويمنحه هامشاً أكبر للمناورة، مما يقلل من حجم الضغوط التي كان يواجهها سابقاً في ما يتعلق بالتفاهات حول إقامة قاعدة أجنبية على الأراضي السودانية.

وبينما لا تزال الظروف الأمنية والسياسية شديدة التعقيد، فإن هذا التقدم العسكري يُعيد تشكيل التوازنات الداخلية، ويمنح الجيش فرصة لإعادة تقييم حساباته فيما يخص التعاون العسكري الخارجي، خصوصاً في ظل إرث طويل من السياسات التي ترفض الوجود العسكري الأجنبي، ووجود رأي عام متحفّظ تجاه التدخلات الخارجية. وعليه، فإن أي صفقة من هذا النوع ستظل خاضعة لحسابات دقيقة تتجاوز الميدان، وتمتد إلى التأثيرات الإقليمية والدولية، وحجم القبول الشعبي والسياسي لها داخل السودان.

6. خيارات السياسة المقترحة للتعامل مع ملف القاعدة الروسية:

الخيار الأول: إنهاء مشروع القاعدة الروسية

ينص هذا الخيار على اتخاذ قرار استراتيجي بإلغاء اتفاق القاعدة الروسية أو عدم المضي قدماً في تنفيذه، مع توجيه السياسة الخارجية السودانية نحو مبدأ الحياد الإيجابي ورفض الاصطفاف المحوري. يرتكز هذا النهج على الإرث التاريخي للسودان كأحد مؤسسي حركة عدم الانحياز، ويهدف إلى تحصين السيادة الوطنية وتفادي الانخراط في صراعات المحاور الدولية والإقليمية التي قد تضر بالمصالح العليا للبلاد.²⁰ يمكن لهذا النهج أن يعزز من استقلالية القرار السوداني، ويعيد تموضعه على الساحة الإقليمية والدولية كدولة تسعى إلى الحياد والتوازن في علاقاتها الخارجية. كما يفتح المجال أمام تحسين العلاقات مع شركاء مهمين مثل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، اللذين ينظران بعين الريبة لأي وجود عسكري روسي على البحر الأحمر، إضافة إلى دول الخليج، وعلى رأسها السعودية والإمارات، التي تعتبر هذه المنطقة ضمن دائرة أمنها الحيوي. إلى جانب المكاسب السياسية، فإن تبني هذا الخيار يقلل من المخاطر الأمنية والاستراتيجية المرتبطة بتحويل السودان إلى ساحة تنافس وصراع بين القوى الكبرى، كما يمنح الحكومة هامشاً أكبر لتركيز جهودها على استعادة الاستقرار الداخلي وتعزيز الاقتصاد الوطني. ومع ذلك، فإن إنهاء الاتفاق قد يحمل في طياته تكلفة دبلوماسية، مثل توتر العلاقات مع موسكو وخسارة فرص محتملة في مجالات التعاون العسكري والتقني، فضلاً عن احتمال ممارسة روسيا ضغوطاً سياسية أو اقتصادية للرد على هذه الخطوة.

²⁰ مقابلة مع بروفيسور حسن الحاج علي، استاذ العلوم السياسية بجامعة الخرطوم، بتاريخ 7 يوليو 2025.

الخيار الثاني: تعظيم المكاسب الاستراتيجية في حال إتمام صفقة القاعدة الروسية

في حال أصبح تنفيذ اتفاق القاعدة الروسية في بورتسودان أمرًا واقعًا، فإن الخيار الأمثل أمام السودان يتمثل في تحويل هذا الوجود إلى فرصة لتعزيز قدراته العسكرية والسيادية بدلًا من أن يشكل عبئًا استراتيجيًا. يقوم هذا النهج على إدارة تفاوضية ذكية مع الجانب الروسي تضمن إدراج بنود واضحة في الاتفاقية تتعلق بنقل التكنولوجيا العسكرية وتزويد السودان بمنظومات دفاع جوي متطورة، مثل منظومة S-400، إلى جانب صفقات لتحديث سلاح الجو والبحرية عبر برامج تدريب وصيانة متقدمة. هذه الخطوة يمكن أن تُحدث تحولًا نوعيًا في قدرات القوات المسلحة السودانية، بما يرفع من قدرتها على حماية الأجواء والمياه الإقليمية ومواجهة التحديات الأمنية المتزايدة.

علاوة على ذلك، يمكن للسودان أن يوظف القاعدة الروسية كمدخل لجذب استثمارات روسية في مجالات الطاقة والبنية التحتية للموانئ، ما يساهم في دعم الاقتصاد الوطني وتخفيف الضغوط المعيشية على المواطنين. غير أن هذا المسار محفوف بمخاطر كبيرة، أبرزها احتمال إضعاف العلاقات مع الغرب ودول الخليج التي ترى في القاعدة الروسية تهديدًا مباشرًا لمصالحها، إضافة إلى مخاطر ارتهان السودان للنفوذ الروسي على المدى الطويل. لذلك، يتطلب هذا الخيار قدرًا عاليًا من الحنكة السياسية، مع صياغة اتفاقية قانونية دقيقة تضمن التزامات واضحة من الجانب الروسي، وتُبقي على قدرة السودان في المناورة دون الوقوع في دائرة التبعية أو الاصطفاف الأحادي.

7. التوصيات: Recommendations:

توصيات للحكومة السودانية:

1. يجب على الحكومة السودانية أن تلتزم بمبدأ الحياد الإيجابي في علاقاتها الدولية، بما يحفظ السيادة الوطنية ويُجنّب البلاد الاستقطاب بين المحاور. ويتطلب ذلك تفعيل دور السودان في المنظمات الإقليمية والدولية، واستخدام هذه المنصات للدفاع عن المصالح الوطنية والمساهمة في حل النزاعات الإقليمية.
2. نظرًا للوضع الداخلي الهش والتوترات الإقليمية، يُعد تعليق تنفيذ اتفاق القاعدة الروسية خطوة استراتيجية ضرورية تمنح السودان فرصة لإعادة تقييم الموقف. يُوصى بتشكيل لجنة وطنية مستقلة من خبراء في القانون والأمن والاقتصاد والعلاقات الدولية لدراسة الاتفاق من كافة جوانبه وتقديم توصيات واضحة لصانعي القرار²¹.
3. توجيه الجهود والموارد نحو إنهاء الحرب في السودان وتحقيق المصالحة الوطنية. فاستقرار السودان داخليًا هو الضمانة الحقيقية لسيادته وقدرته على اتخاذ قرارات مستقلة في سياسته الخارجية.

²¹ المرجع نفسه.

4. عرض فرص استثمارية واقتصادية على الدول المهتمة بالمنطقة، بدلاً من تقديم تنازلات عسكرية. يمكن للسودان أن يقدم تسهيلات تجارية، فرص استثمار في البنية التحتية، أو شراكات في قطاعات مثل الزراعة والتعدين، مقابل الحصول على دعم مالي وتقني.

توصيات للقوى السياسية والمجتمع المدني:

1. تنظيم حملات توعية وتعبئة شعبية سلمية للضغط من أجل إنهاء الحرب، ورفض أي اتفاقيات تمس السيادة الوطنية. بالتوازي، يجب التواصل الفعال مع المجتمع الدولي، بما في ذلك المنظمات الإقليمية والدولية، والبرلمانات الأجنبية، ومراكز الفكر، لحشد الدعم اللازم لذلك.
2. إطلاق حملات إعلامية واسعة النطاق عبر وسائل الإعلام التقليدية (الإذاعة، التلفزيون، الصحف) ووسائل التواصل الاجتماعي، لتسليط الضوء على تجارب الدول الأخرى التي عانت من التدخلات الأجنبية (مثل سوريا وليبيا كما ورد في الورقة)، وكيف أثر ذلك سلباً على استقرارها. يجب أن تكون هذه الحملات بلغة مبسطة وموجهة لجميع شرائح المجتمع.
3. تشجيع ودعم البحث العلمي والمراكز الفكرية السودانية المستقلة لإجراء دراسات معمقة حول تداعيات التدخلات الأجنبية على السودان، ونشر نتائج هذه الدراسات على نطاق واسع. هذا يساهم في بناء قاعدة معرفية قوية تدعم المواقف السياسية للقوى المدنية.

قائمة المراجع:

أ. العربية:

1. تسع سنوات على التدخل الروسي في سوريا... مكاسب وتحديات، سامر الياس، موقع المجلة، نشر في 2024/9/30
متاح علي:
<https://www.majalla.com/node/322433/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9/%D8%A%D8%B3%D8%B9-%D8%B3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%AA-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AF%D8%AE%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7-%D9%85%D9%83%D8%A7%D8%B3%D8%A8-%D9%88%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA>
2. حسن حاج علي وعديلة تبار، الأمنة والديمقراطية في القرن الأفريقي: حالات جيبوتي والصومال والسودان، مجلة سياسات عربية، العدد 39، يوليو 2019، ص 45.
3. روسيا وأمريكا ولعبة النفوذ في السودان في ظل الصراع المسلح!، نشر بتاريخ 2024/11/1 متاح علي:
<https://2u.pw/MkVVz>
4. السودان يعلن إكمال الاتفاق على انشاء القاعدة الروسية في البحر الأحمر وزيراً خارجية السودان وروسيا اتفقا على اقامة القاعدة الروسية على ساحل البحر الأحمر، سودان تريبون، نشر بتاريخ 2025/2/12، متاح علي:
<https://sudantribune.net/article297272>
5. كاثرين شير، القواعد الروسية: هل تنتقل من سوريا إلى ليبيا؟، نشر بتاريخ 2024/12/20، متاح علي:
<https://2u.pw/XePMo>
6. لماذا تنشئ روسيا قاعدة بحرية يمكنها استقبال سفن تعمل بالطاقة النووية في السودان؟ن موقع مونتي كارلو، نشر في 2021/02/28، متاح علي:
<https://2u.pw/5wRPY>
7. ما دلالة نشاط السفن الحربية الروسية بالبحر الأحمر؟، صحيفة الشرق الأوسط، نشر في 2024/03/31، متاح علي:
<https://2u.pw/0pOqy>
8. مستقبل غامض للقواعد الروسية في سوريا، موقع الجزيرة نت، نشر بتاريخ ، 2024 /12/19، متاح علي:
<https://www.aljazeera.net/politics/2024/12/19/%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84-%D8%BA%D8%A7%D9%85%D8%B6-%D9%84%D9%84%D9%82%D9%88%D8%A7%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7>

ب. الانجليزية:

1. *A U.S. Base in Saudi Arabia Expands to Help Counter Iran*, *The New York Times*, <https://www.nytimes.com/2025/06/26/world/middleeast/jenkins-us-saudi-arabia-iran.html>
2. Giorgio Cafiero, Sudan: A key area in US-Russia competition, June 1, 2021, available at: <https://www.mei.edu/publications/sudan-key-area-us-russia-competition>
3. Security council reports, available at: https://www.securitycouncilreport.org/un_documents_type/security-council-resolutions/?ctype=Syria&cbtype=syria
4. *The interests of Russia in Sudan*, Sudan Democracy Lifeline Fellowship, 31\5\2024, available at: <https://democracyactionsd.org/the-interests-of-russia-in-sudan/>
5. Why is Russia establishing a naval base in Sudan? TRT World, available at: <https://www.trtworld.com/magazine/why-is-russia-establishing-a-naval-base-in-sudan-42205>

المقابلات:

1. مقابلة مع أ. جهاد عبدالقادر، باحثة متخصصة في الدراسات الأمنية وتحليل المخاطر، بتاريخ 2 يوليو 2025.
2. مقابلة مع بروفيسور حسن الحاج علي، استاذ العلوم السياسية بجامعة الخرطوم، بتاريخ 7 يوليو 2025.
3. مقابلة مع د. بكري الجاك المدني، الناطق الرسمي باسم تحالف صمود، بتاريخ 8 يوليو 2025.